

فضل العلم ونشره

عناصر الخطبة

فضل العلم وطلبه، ونشره

نماذج مشرقة من الصحابة حرصت على تعلم الخير ونشره

ثمرات نشر العلم

التفصيل

إن العلم هو حياة القلوب من الجهل. ومصباح الأبصار من الظلم. يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة. وأئمة تقتص آثارهم. ويقتدي بأفعالهم. وقد أثنى على أهله وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً. فهم ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لا رتبة ولا شرف فوق النبوة فهنيئاً لمن كان وارثاً لها.

فضل العلم وطلبه، ونشره

١ - قال الله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)} [آل عمران: ١٨].

قال ابن كثير: ثُمَّ قَرَنَ شَهَادَةَ مَلَائِكَتِهِ وَأُولِي الْعِلْمِ بِشَهَادَتِهِ فَقَالَ: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ} وَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ^(١).

ذكر الإمام ابن القيم أن في هذه الآية عشرة أوجه تدل على شرف العلم وفضل العلماء. ومنها: ١ -

أن الله - عز وجل - استشهدهم من بين سائر الخلق.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤).

٢ - وضمَّ شهادتهم إلى شهادته تعالى.

٣ - وضم شهادتهم إلى شهادة ملائكته.

٤ - وكونه تعالى استشهدهم فمعناه أنه عدَّهم؛ لأنه لا يمكن أن يستشهد بقولهم إلا وأنهم عدول.

٥ - أنه أشهدهم على أعظم مشهود به، وهذه أجلُّ وأعظم شهادة في القرآن؛ لأن المشهود به هو:

شهادة: **إِن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. الَّتِي لَا يَعْذُلُهَا شَيْءٌ.** (٢)

٢ - قال الله تعالى: **{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الجمعة: ٢]

ورد في القرآن الكريم بيان أن تعليم السنة، بالإضافة إلى تعليم الكتاب، هو من مهمة محمد ﷺ.

قال قتادة: "الحكمة السنة وبيان الشرائع" (٣).

٦- **{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**

[يوسف: ١٠٨]

قال ابن القيم: وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها: فهي لا تحصل

إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه

السعي، ويكفي هذا في شرف العلم: أن صاحبه يجوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء. (٤)

(٢) مفتاح السعادة لابن القيم (١/٤٩).

(٣) تفسير القرطبي (٢/١٣١).

من السنة:

١ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ". (٥)

٢ - وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)). (٦)

٣ - عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ فِي حَدِيثٍ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ، أَمَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ، أَمَا جِئْتَ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَأُورَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ. " (٧)

(٤) التفسير القيم (٣٣٢/١)

(٥) مسلم (٢٦٩٩).

(٦) البخاري (٣١١٦)، واللفظ له، ومسلم (١٠٣٧).

(٧) أخرجه ابن حبان (٨٨)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢٠٣/١)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ وَاصِحٌّ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا، هُمْ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ، دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ. أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُورَثُوا إِلَّا الْعِلْمَ، وَعِلْمُ نَبِيِّنَا ﷺ سُنَّتُهُ، فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ. (٨)

٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "نَصَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ فِيهِ غَيْرُ فَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَوْلِي الْأَمْرِ، وَلِزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ" (٩)

في الحديث: أن أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم، وهي من وظائف الأنبياء، فمن تعرض لذلك وقام به كان خليفة لمن يبلغ عنه، وكما لا يليق بالأنبياء أن يهملوا أعداءهم ولا ينصحوهم لا يحسن من حامل الأخبار وناقل السنن أن يمنحها صديقه، ويمنع عدوه. وأن النقل ونشر الأحاديث إنما يكون غالباً بين الجماعات، فحث على لزومها ومنع عن النأي عنها لحقد، وضعيفة، تكون بينه وبين حاضر بها، بيان ما فيها من الفائدة العظمى، وهي إحاطة دعائهم بهم من ورائهم فتحرسهم عن مكائد الشيطان وتسويله". (١٠)

(٨) صحيح ابن حبان (١/ ٢٩٠).

(٩) أحمد (١٣٣٥٠)، والترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٤).

(١٠) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٦٦٢).

نماذج المشرفة من الصحابة حرصت على تعلم الخير ونشره

عمر بن الخطاب

وكان عمر رضي الله عنه دؤوباً عظيم الهممة في: تعلم السنة وأحكامها، فسلك مسلك التناوب مع جاره الأنصاري، فكان يغدو إلى مجلس النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوماً، ويغدو صاحبه يوماً، لثلاث يفوته من حديث النبي صلى الله عليه وآله شيء.

وبوب البخاري، في صحيحه: "باب التناوب في العلم"، وأورد حديث عمر رضي الله عنه: كُنْتُ أَنَا وَجَارِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا تَتَنَاوَبُ النَّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. . . . الحديث^(١١). وكان يوصي بتعلم السنة، فأثر عنه قوله: ((تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَّةَ كَمَا تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ))^(١٢).

أبو هريرة وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد لازم أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وآله أربع سنوات في حله وترحاله، ولم يفارقه قط، بل كان يلازمه على جوعه حتى كاد أن يموت من الجوع كل هذا صبراً على التعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي الحديث أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَتَقُولُونَ مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى مِلءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا

(١١) البخاري (٨٩).

(١٢) جامع بيان العلم وفضله (١٤٥٣)

غابوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْعَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَعْي حِينَ يَنْسُونَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: "إِنَّهُ لَنْ يَسُوطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضَى مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ" فَبَسَطْتُ نَمْرَةً عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ. (١٣)

كما كان يعبر عنه بالحرص على ملازمة الرسول ﷺ وخدمته، حيث كان لا يدع فرصة لخدمته ﷺ إلا اغتنمها، فمن ذلك أنه كان يحمل إداوة وضوئه ﷺ إذا أراد الوضوء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لِرَوْضِئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَّبَعُهُ بِهَا فَقَالَ: "مَنْ هَذَا". فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ. فَقَالَ: "أَبْنَى أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا، وَلَا تَأْتِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ". فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَجْمَلَهَا فِي طَرْفِ ثَوْبِي، حَتَّى وَضَعْتُ إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ قَالَ: "هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجَنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفَدُّ جِنَّ نَصِيْبِيْنَ وَنَعْمَ الْجَنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ هُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا" (١٤).

ومن ذلك حرصه على العلم، ودعوة الناس إليه،

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، ما أعجزكم قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ((ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا إلى المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد، فدخلنا، فلم نر فيه شيئًا يقسم. فقال لهم أبو هريرة: أما

(١٣) البخاري (٢٠٤٧)، مسلم (٢٤٩٣).

(١٤) البخاري (٣٨٦٠).

رأيتهم في المسجد أحدا؟ قالوا: بلى، رأينا قوما يصلون، وقوما يقرءون القرآن، وقوما يتذكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ. (١٥)

حرص أهل اليمن على تعلم السنة.

عن أنس: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال هذا أمين هذه الأمة (١٦).

ثمرات نشر العلم

إن لنشر العلم وتبليغه إلى محتاجيه ثمرات جليلة لا يجوز أن ينام عن طلبها طلاب العلم عموماً والعلماء منهم خصوصاً.

١ - النجاة من الهلاك

قال الله تعالى: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)} [العصر: ١ - ٣].

إِنَّ بَنِي الْإِنْسَانِ خَاسِرُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ ائْتَقَدُوا ائْتِقَاداً صَاحِحاً بِوُجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى رُسُلِهِ الْكِرَامِ ثُمَّ عَمِلُوا صَالِحَةً تُرْضِي اللَّهَ، وَاجْتَنَبُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَأَوْصَى بِعُضُومِهِمْ

(١٥) حسن. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٤٢٩) من حديث خلف بن تميم عن علي بن مسعدة قال: حدثنا عبد الله الرومي، عن أبي هريرة به. وقال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. (١٤٨/١) وقال الألباني: حسن موقوف؛ صحيح الترغيب والترهيب (١٩/١)

(١٦) رواه مسلم (٢٤١٩)

بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي تَشْتَأِقُ إِلَيْهَا النُّفُوسُ الضَّعِيفَةُ، وَبِالصَّبْرِ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي يَشْتَقُّ عَلَى النُّفُوسِ الْقِيَامَ بِهَا. فَهَؤُلَاءِ الْمُسْتَشْنُونَ هُمُ الرَّابِحُونَ الْفَائِزُونَ^(١٧).

٢ - الأجر العظيم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)).^(١٨)

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي أُبَدِّعُ بِي فَأَحْمِلُنِي، فَقَالَ: ((مَا عِنْدِي)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))^(١٩).

٣ - النفع الخاص والنفع المتعدي للمتعلم

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِنَّ مِثْلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةً، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا

(١٧) أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/ ٦٠٥٤)

(١٨) مسلم (٢٦٧٤).

(١٩) مسلم (١٨٩٣).

هِيَ قِيَعَانُ لَا تُمَسِّكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)). (٢٠)

فانظر إلى هذا الحديث، ما أوقعه على الخلق، فإن الفقهاء أولى الفهم، كمثل البقاع التي قبلت الماء فأنبتت الكلاً؛ لأنهم علموا وفهموا، وفرغوا وعلموا، وغاية الناقلين من المحدثين الذين لم يبرزوا الفهم والفقاه أنهم كمثل "الأجادب" التي حفظت الماء فانتفع بها عندهم، وأما الذين سمعوا ولم يتعلموا ولم يحفظوا، فهم العوام الجهلة، فمن أي الفرق أنت؟

٤ . الفوز بمقام عظيم وعد به النبي الأمين ﷺ

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ (٢١).

قال القاري: قوله: (كفضلي على أدناكم) أي نسبة شرف العالم إلى شرف العابد كسببه شرف الرسول إلى شرف أدنى الصحابة

وفيه إشارة إلى وجه الأفضلية بأن نفع العلم متعد ونفع العبادة قاصر، مع أن العلم في نفسه فرض، وزيادة العبادة نافلة. (٢٢)

(٢٠) البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)، واللفظ له.

(٢١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(٢٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٨)

٥. الخروج من تبعة الكتمان

قال الله: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة: ١٥٩]

وقال عز وجل: ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ)) [آل عمران: ١٨٧].

قال ابن كثير: هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ وَتَهْدِيدٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْ يَنْوَهُوا بِذِكْرِهِ فِي النَّاسِ لِيَكُونُوا عَلَى أَهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَابِعُوهُ، فَكَتَمُوا ذَلِكَ وَنَعَوْضُوا عَمَّا وَعَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالذُّونِ الطَّفِيفِ، وَالْحِطِّ الدُّنْيَوِيِّ السَّخِيفِ، فَبُئِسَتِ الصَّفَقَةُ صَفَقَتُهُمْ، وَبُئِسَتِ الْبَيْعَةُ بَيْعَتُهُمْ.

وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلِكَهُمْ فَيُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، وَيُسْلِكَ بِهِمْ مَسْلِكَهُمْ، فَعَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَبْذُلُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلَيْهِ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ. (٢٣)

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْمُمْسِكُ عَنِ الْكَلَامِ مُمَثَّلٌ بِمَنْ أُلْجِمَ نَفْسَهُ كَمَا يُقَالُ التَّقِيُّ مُلْجَمٌ فَإِذَا أُلْجِمَ لِسَانُهُ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْعِلْمِ وَالْإِظْهَارِ بِهِ يُعَاقَبُ فِي الْآخِرَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ وَخُرِجَ هَذَا عَلَى مَعْنَى مُشَاكَلَةِ الْعُقُوبَةِ الذَّنْبِ، قَالَ وَهَذَا فِي الْعِلْمِ الَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ فَرُضُهُ كَمَنْ رَأَى كَافِرًا يُرِيدُ الْإِسْلَامَ

(٢٣) أخرجه أحمد (٧٥٧١)، الترمذي (٢٦٤٩)، وقال: حديث حسن.

يَقُولُ عَلَّمُونِي الْإِسْلَامَ وَمَا الدِّينُ وَكَيْفَ أَصَلِّيَّ وَكَمَنْ جَاءَ مُسْتَفْتِيًّا فِي حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ فَإِنَّهُ يَلْزَمُ فِي مِثْلِ هَذَا أَنْ يَمْنَعُوا الْجَوَابَ عَمَّا سُئِلُوا عَنْهُ وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْوَعِيدُ وَالْعُقُوبَةُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي نَوَافِلِ الْعِلْمِ الَّذِي لَا ضَرُورَةَ لِلنَّاسِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا (٢٤) اهـ

٦. الظفر بالمعون والمدد من الله:

ذلك أن ناشر العلم يسعى في قضاء أعظم حاجة وأمسها ألا وهي حاجة الخلق إلى الفقه في الدين، والإخلاص في العبادة وهما ركنا قبول العمل، وقد جاء في الحديث: " وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ " (٢٥).

وفي لفظ: " وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ " (٢٦).

٧. الحصول على الخيرية

ففي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ". ولا شك أن تعليم القرآن الذي جعله الله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين من أشرف أنواع النشر للعلم، وأن صاحبه داخل في جملة من قال الله فيهم: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت: ٣٣]

(٢٤) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٠ / ٦٦)

(٢٥) صحيح البخاري (٢٤٤٢)، مسلم (٢٥٨٠).

(٢٦) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

٨. الفوز بغنيمة قيمة ألا وهي دعاء النبي ﷺ لناشر العلم بالنضارة: النعمة والبهجة في الدنيا والآخرة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ فِيهِ غَيْرُ فَقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرٌ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَوْلِي الْأَمْرِ، وَلِزُورِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ" (٢٧)

النضرة الحسن والرونق، يتعدى ولا يتعدى، وروى بالتخفيف والتشديد، والمعنى خصه تعالى بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته، من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا ونعمة في الآخرة، حتى يرى عليه رونق الرخاء ورفيف النعمة. وإنما خص حافظ سنته ومبلغها بهذا الدعاء؛ لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه في دعائه له بما يناسب حاله في المعاملة. (٢٨)

٩- يبقى خيره لصاحبه حتى بعد وفاته

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " (٢٩)

قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ عَمَلَ الْمَيِّتِ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ وَيَنْقَطِعُ تَجَدُّدُ الثَّوَابِ لَهُ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ لِكَوْنِهِ كَانَ سَبَبَهَا فَإِنَّ الْوَلَدَ مِنَ كَسْبِهِ وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ الَّذِي خَلَفَهُ مِنْ تَعْلِيمٍ أَوْ تَصْنِيفٍ وَفِيهِ بَيَانُ

(٢٧) أخرجه أحمد (١٣٣٥٠)، والترمذي (٢٦٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠٨)

(٢٨) شرح المشكاة للطيب (٢/٦٨٣)

(٢٩) صحيح مسلم (١٦٣١)

فَضِيلَةُ الْعِلْمِ وَالْحَثُّ عَلَى الْإِسْتِكْتَارِ مِنْهُ وَالتَّرْغِيبُ فِي تَوْرِيثِهِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ وَالإِضْحَاحِ وَأَنَّهُ يَنْبَغِي
أَنْ يُخْتَارَ مِنَ الْعُلُومِ الْإِنْفَعُ فَالْإِنْفَعُ (٣٠)

قال القائل:

مَنْ جَادَ بِالْعِلْمِ أَحْيَا الْعَالَمُونَ لَهُ. . . بَدِيعَ حَمْدٍ بِمَدْحِ الْفِعْلِ مُتَّصِلِ

يَمُوتُ قَوْمٌ فِيحْيِي الْعِلْمُ ذَكَرَهُمْ. . . وَالْجَهْلُ يُلْحِقُ أَمْوَاتًا بِأَمْوَاتِ (٣١)

والحمد لله رب العالمين

(٣٠) شرح النووي على مسلم (١١ / ٨٥) بتصرف

(٣١) موارد الظمان لدروس الزمان (١ / ١٥٧)